**المحاضرة السابعة**

**التأسيس النقدي لفن الموشحات والأزجال**

**أولا: تعريف الموشحات:**

**لغة:**

الوشاح عند اللغويين هو نوع من اللباس تتزين به المرأة. جاء في لسان العرب في مادة (وشح) أن الوشاح: ''حلي النساء، كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر، تتوشح المرأة به''. وقال الفيروز آبادي في القاموس المحيط أن الوشاح هو: ''كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر، وهو أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحها''.

**اصطلاحا:**

هي لون شعري يقوم على وزن وبناء خاصين، وقد اختص به الأندلسيون لما عرفوا به من ميل إلى التحرر وحب للشعر والغناء. ويعد محطة مهمة من محطات الشعر العربي القديم، إذ يؤسس لمرحلة الخروج عن الوزن ومحاولة التجديد شكلا ومضمونا. وأما العلة في اشتقاقه من الوشاح فلما فيه من تزيين وزخرف للفظ والوزن ولما فيه من جمال ورونق.

نشأت الموشحات بالأندلس كما يجمع أغلب الدارسين، قال محمد عباسة أن الموشح ''ضرب من ضروب الشعر العربي لا يختلف عن القصيدة التقليدية إلا في تعدد قوافيه وتنوع أوزانه أحيانا، وفي الخرجة التي يخرج بها الوشاح من الفصيح إلى العامي تارة وتارة أخرى إلى العجمي، كما يختلف عنها في تسمية أجزائه. ويختلف في بعض هذه الخصائص عن الأراجيز والمسمطات. ولم يستحدث شعراء أهل الأندلس هذا اللون من النظم إلا لحاجتهم إلى التجديد الذي اضطرتهم ظروف اللهو والغناء الجماعي''.

وقال فوزي عيسى: ''وقد ولدت الموشحات في أحضان الطبيعة الأندلسية المترفة، وتخلقت أنغامها في بيئة المغنين والمغنيات، ووجدت رواجا كبيرا في أوساط الأمراء والحكام وكانت انعكاسا لما شاع في البيئة الأندلسية من ترف وتحضر''.

وقد وقع اختلاف حول أول واضع لها، فقيل أن محمد بن محمود القبري الضرير أول من نظم فيها وقيل مقدم بن معافى القبري، وأما أقدم النصوص التي وصلت منها فلابن ماء السماء

كما اختلفت الآراء حول كيفية نشأتها وأصلها، فقال خوليان ريبيرا أنها ''تقليد من عرب الأندلس لأغان أعجمية كانوا يسمعونها ويتغنون بها محاولين تقليدها أو تعريبها.''

وقال غيره أمثال سيد غازي أنها وليدة المسمطات العربية المشرقية.

**ثانيا: عوامل نشأتها وانتشارها:**

1/ موجة الغناء التي انتشرت بالأندلس لعدة أسباب في مقدمتها الترف والحرية واختلاط الأجناس خاصة بعد دخول زرياب الأندلس في عهد الحكم ابن هشام.

2/ شيوع الشعر بين طبقات الشعب المختلفة وميله للغة البسيطة القريبة من لغة العامة.

**ثالثا: البناء الفني للموشحات:**

استنتج أغلب دارسي الموشحات والمهتمين به من القدامى والمحدثين بناء الموشحات من خلال تعريف ابن سناء الملك لها ومفاده أن الموشح: ''كلام منظوم على وزن مخصوص، وهو يتألف في الأكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات ويقال له التام، وفي الأقل من خمسة أبيات ويقال له الأقرع، فالتام ما ابتدئ فيه بالأقفال والأقرع ما ابتدئ فيه بالأبيات.''

وأهم مصطلحات الموشح هي:

**\*القفل:** وهو أول ما يبتدئ به الموشح التام، ويسمى المطلع، ويتألف من جزأين إلى ثمانية حتى عشرة أجزاء أو إحدى عشر جزءا.

**\*الدور:** وهو القفل الذي يلي المطلع إن كان الموشح تاما، ويشترط أن يكون وزنه على وزن المطلع على أن تتغير قافيته، ولا يشترط فيها عدد معين.

**\*البيت:** ويتكون في الموشح من القفل والدور الذي يليه، وعليه فهو خلافا للبيت الشعري العادي يتكون من عدة أجزاء ويخضع لتبدل الروي.

**\*الخرجة:** وهي القفل الأخير من الموشح. وهي أهم جزء في الموشح. وتكون بالعربية فصحى أو عامية كما تكون بالأعجمية.

**\*السمط:** ويطلق على كل جزء من أجزاء الدور. ويشترط فيه أن يكون على روي واحد.

**\*الغصن:** ويطلق على كل جزء من أجزاء القفل والمطلع والخرجة، وتتساوى معها من حيث عددها ورويها وقافيتها.

**رابعا: أوزان الموشحات:**

تنقسم أوزان الموشحات حسب ابن سناء الملك إلى قسمين: موشحات شعرية وهي التي تلتزم عروضا معينا، ومن نماذجه قول الشاعر:

أيها الساقي إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع

وهو من الرمل. ومنها نوع يقوم على وزن معين لكن تخرجه عنه زيادة عبارة أو كلمة كقول ابن بقي:

صبرت والصبر شيمة العاني \* ولم أقل للمطيل هجراني \* معذبي كفاني

فهو من المنسرح لكن عبارة (معذبي كفاني) أخرجته من الوزن.

وأما القسم الثاني فلا يمكن إخضاعه لوزن خليلي.

**ثانيا: الأزجال:**

**أولا/ تعريف الأزجال لغة واصطلاحا:**

الزجل في اللغة يعني: الصوت والطرب والترخيم. جاء في لسان العرب: ''الزجل بالتحريك اللعب والجبلة ورفع الصوت، وخص به التطريب''. وهو ''ضرب من ضروب النظم يختلف عن القصيدة من حيث الإعراب والقافية كما يختلف عن الموشح من حيث الإعراب، ولا يختلف عنه من جانب القافية إلا نادرا.'' يعد الزجل بهذه الصورة موشحا ملحونا كتب بلغة مهذبة غير معربة.

والزجل فن أندلسي النشأة ظهر عقب فن الموشحات، ولكن الغموض يلفّ نشأته لعدم اهتمام المؤرخين به، غير أن المرجح أنه نشأ في القرن الرابع للهجرة كتطور لفن الموشحات الذي مسه التعقيد والتكلف خاصة على مستوى البناء، غير أن الانطلاقة الحقيقية له كانت مع زمن ملوك الطوائف في القرن الخامس للهجرة، وبلغ ذروة الشيوع والتطور الفني في القرن السادس لعدم إتقان ملوك المرابطين للغة الفصحى وعدم تشجيعهم الشعراء على النظم، رغم أن كثيرا من الانتقادات يمكن توجيهها لهذا الرأي، ومنها أن المرابطين -رغم كونهم من البربر- فإن اللغة الرسمية التي كانوا يتكلمون بها ويستعملونها هي اللغة العربية الفصحى، فلم يعرف عنهم أنهم تلقوا أي كتاب بلغة غير اللغة العربية الفصحى، كما أن المرابطين كالموحدين كانوا يخضعون لسلطان العربية الفصحى، كغيرهم من ملوك المسلمين، خاصة وأن الدولتين عرفتا بالتشدد في مسائل الدين وقد جاء باللسان العربي.

وأشهر الزجالين: ابن قزمان، ويوسف بن هارون الرمادي، وابن غرله، ويخلف بن راشد، وأخطل بن نمارة، وأبو عبد الله أحمد ابن الحاج المعروف بــ: مدغيلس. وهو أشهر الزجالين وعنه قال المقري: ''وكان مدغليس هذا مشهورا بالانطباع والصنعة في الأزجال، خليفة ابن قزمان في زمانه، وكان أهل الأندلس يقولون: ابن قزمان في الزجالين بمنزلة المتنبي في الشعراء، ومدغيلس بمنزلة أبي تمام، بالنظر إلى الانطباع والصناعة، فابن قزمان ملتفت إلى المعنى، ومدغيلس ملتفت إلى للفظ، وكان أديبا معربا لكلامه مثل ابن قزمان، ولكنه لما رأى نفسه في الزجل أنسب اقتصر عليه.''

وأما الأسباب التي أدت إليه فيأتي الغناء بالمقام الأول، وتطور وشيوع فن الموشح بين العامة والخاصة، وإقبال الناس عليه لسهولته وطواعيته للحن والحفظ، واختلاطه بالعامة بعد خروجه من القصور والمجالس العلمية والحواضر، خاصة وأن الأندلس منذ القرن السادس، بدأت تسير نحو الانحلال والسقوط.

وكما حدث مع الموشح، فقد اختلف الباحثون -عربا ومستشرقين- حول أصله ونشأته الأولى وكرر بعضهم مقولة أنه نشأ تقليدا لأغاني السكان الأصليين.

أم من حيث البناء والأوزان، فإن الزجل كالموشح، فبناؤه كبناء الموشح، وأزانه مثله من حيث اعتماد الأوزان الخليلية في كثير من الأحيان، ومن حيث إخضاعها للحن، وبالتالي التجديد والتعديل فيها بما يتماشى والغناء.

**2/ أغراض الزجل:**

سيطر الشعر التقليدي على موضوعات الزجل، غير أن أكثرها كان في المدح والغزل والطبيعة والتصوف، مع بعض الأزجال في الهجاء والرثاء.

**المصادر والمراجع:**

1- ابن منظور: لسان العرب.

2- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مطبعة السعادة، ط 2، القاهرة، 1332ه.

3- محمد عباسة: الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، مستغانم، الجزائر، ط1، 1433ه، 2012م.

4- فوزي عيسى: الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2007م.

5- ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق1، م 1.

6- المقري: نفح الطيب، مج 1، مج 3، مج 4.

7- جودت الركابي: في الأدب الأندلسي، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1975م.

8- بطرس البستاني: أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، دارون مارون عبود، بيروت.

9- محمد عناني: الموشحات الأندلسية.

10- الربعي بن سلامة: محاضرات في النقد المغربي والأندلسي، مطبوعات جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة.